



لا نبالغ إذا قلنا إن أحد أسباب ضعف الأمة الإسلامية في العصور الأخيرة هو هذا الصراع المعلن والخفي، وهو صراع دائم لم ينقطع، بين تيار التغريب والعلمانية والخضوع للرأسمالية الليبرالية وبين التشبث بالهوية والثقافة والحضارة الإسلامية، لتكون هذه الهوية بوصلة للأمة ترشدها، وهي وجهة توليهما.

هل يمكن أن تعيش أمة دون هوية؟ وهل يمكن تجاهل قضايا مثل المنشأ والمصير وقضايا الغايات والأهداف؟ إن العولمة التي من أبرز خصائصها رفع الحواجز أمام رؤوس الأموال حتى تنتقل عبر الأوطان والقارات، هي لا تكتفي بهذا الجانب الاقتصادي ولا بجانب رفع القيود أمام تنقلات البشر وتدفق المعلومات، ولكنها تسعى لرفع الحواجز لاختراق خصائص كل أمة من ناحية عقيدتها وثقافتها.

هناك ببيروقراطية إعلامية تحاول تنميـت المجتمعـات وتقـلـيـص الأبعـاد الثقـافـية، بل يـصلـ الأمـر إـلـى الاختـراق الثقـافيـ الذي يـدـمـرـ الخـصـوصـيـاتـ والـتيـ هيـ جـزـءـ مـنـ الـدـينـ، وـعـنـدـئـذـ لاـ يـقـيـ إـلـاـ رـؤـوسـ فـارـغـةـ لـيـسـ لـهـاـ هـمـ إـلـاـ الـاسـتـهـلاـكـ وـالـتـمـتـعـ الـمـهـلـكـ لـلـإـنـسـانـ. إـنـ بـعـضـ دـوـلـ شـرـقـ آـسـيـاـ حـزـمـتـ أـمـرـهـاـ وـحدـدـتـ هـدـفـهـاـ، نـقـلـتـ الـعـلـومـ مـنـ الـغـرـبـ وـاحـتـفـظـتـ بـشـرـقـيـتـهـاـ فـيـ الـعـادـاتـ وـالـعـقـائـدـ وـالـثـقـافـةـ الـيـابـانـ فـعـلـتـ هـذـاـ فـيـ بـدـاـيـةـ نـهـضـتـهـاـ وـرـئـيـسـ سـنـغـافـورـةـ يـتـكـلـمـ عـنـ الـقـيـمـ الـآـسـيـوـيـةـ، وـكـانـتـ هـذـهـ خـطـةـ بـلـدـنـاـ إـلـسـلـامـيـ مـالـيـزـيـاـ.

ولـكـ المـعـرـكـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ مـاـ زـالـتـ مـحـتـدـمـةـ، هلـ نـحـنـ مـسـلـمـونـ لـفـتـنـاـ الـعـرـبـيـةـ أـمـ شـرـقـ أـوـسـطـيـوـنـ لـيـسـ لـنـاـ هـوـيـةـ؟ مـسـلـمـونـ أـمـ لـيـبـرـاـلـيـوـنـ؟ بـيـنـمـاـ يـتـجـمـعـ الـيـهـودـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ عـلـىـ أـسـاسـ قـومـيـ دـينـيـ، وـالـمـحـافـظـوـنـ الـجـدـدـ فـيـ أـمـريـكاـ عـنـدـهـمـ وـجـهـةـ دـينـيـةـ وـلـهـمـ وـجـهـةـ مـعـيـنـةـ فـيـ السـيـاسـةـ وـالـأـمـورـ الـاجـتمـاعـيـةـ، وـعـضـ الـمـقـفـيـنـ الـأـوـرـوـبـيـيـنـ يـسـأـلـونـ عـنـ الـهـوـيـةـ أـمـامـ ضـغـطـ الـعـلـمـةـ الشـمـولـيـةـ.

إن الدين نزعة فطرية عند الإنسان، وعندما نتكلم عن الهوية أمام العولمة فإنما يعني شيئاً ثابتاً دائماً مهما تغيرت الظروف أو تقلب الأحوال أو تقدمت العلوم.

إن كل المشاريع الليبرالية في المنطقة العربية والإسلامية فشلت في إنجاز مهمة كبيرة لأنها كانت تستوطن أحياناً وتظهر أحياناً كثيرة العداء للإسلام، وهو هوية الإنسان في هذه المناطق.

ينقسم العالم عند المسلمين إلى أمم إجابة وأمم دعوة، وأمة الدعوة تحتاج إلى توجيه وإرشاد، ولكن العولمة فيها عالم واحد وقانون دولي وليس للمسلمين دور في هذا العالم كما يريد أصحاب هذا التوجه، وهذا الأمر عدا عن أنه ظلم وتعسف ولكنه أيضاً اختلال للعالم.

المصادر: